كيف نعيش أحراراً في السجن؟

أحياناً نشهد لحظاتٍ لا يسعنا فيها إلّا الابتهاج؛ كما هو الحال اليوم في سوريا. نرى تماثيل بشار وأعوانه تتهاوى، والحشود تملأ الشوارع، وأبواب السجون تُفتح على مصراعيها. فتذكّرنا هذه اللحظات أنّ كلّ الأنظمة قابلة للسقوط، حتّى أكثرها استبداداً.

لطالما شكلّ تحرير السجناء والسجينات النقطة المشتركة الوحيدة للثورات كافّة. فالسجن رمز السلطة، والحاكم الذي يقرّر من ينال حريّته ومن يُحرم منها. إنّه أحد أعمدة الخضوع للدولة وقبول أعرافها الاجتماعيّة.

يُعدّ سجن صيدنايا أحد أسوأ السجون في العالم، ويبدو أنّه أُفرغ تماماً من سجنائه وسجيناته اليوم، ما أتاح للناس رؤية أقاربهم/نّ الذين انقطعت أخبارهم لسنوات، بل وربما لقائهم للمرّة الأولى. ولكن لا تغشنّا المظاهر! فبينما يُفرِغ "المتمرّدون/ات" سجون النظام المُنهار، تمتلئ السجون الخاضعة لسيطرتهم بالمعارضين/ات.

بالفعل، وقع بعض الثوّار والثائرات في الفخّ، فدعموا منظّماتٍ مواليةً للدولة تتذّرع بمناهضة الإمبرياليّة، وانجذوا للطائفيّة الكرديّة، وأغرتهم رومانسيّة حرب العصابات. ولكن للأسف، يبدو أنّ المتمردين/ات السوريين/ات هم/نّ بالفعل تحالفٌ دينيٌّ يزعم **توجيه** "إرادة الشعب"، في حين لا يختلف في الحقيقة عن النظام الذي أطاح به. إنّ مثل هذه الهياكل العسكريّة لن تكون أبداً ما نصبو إليه. فنحن نريد تضامناً بلا حدود مع الثوار والثائرات مناهضاً للاستبداد في سوريا، لأنّ آمالنا في الثورة السورية تتجاوز استمراريّة مجتمعٍ مقيّدٍ بالسلاح، وخاضعٍ لقوى سماويّة وأرضيّة تحتاج إلى السجون لتستمرّ.

وبينما نحتفي بتحرّر السوريين والسوريّات من نيّر عشيرة الأسد، لا يسعنا إلّا أن نأمل أن تسير ثورات 2011 أبعد من ذلك: نحو التنظيم الذاتي للحياة اليومية برمّتها، ونحو الهجوم الشامل على السلطة والممتلكات وكلّ مظاهر الاستبداد.

هنا كما هناك، لا يزال أمامنا الكثير لنهدّمه:
السجون، والأديان، والدول.

نتمنّى السعادة لمن عانقوا الحريّة بعد الفراق الطويل، والقوّة لكلّ المحتجزين/ات في العالم!

الفوضويّون/ات – الواثقون/ات والمتخوّفون/ات،
فرنسا، في 9 كانون الأوّل/ ديسمبر 2024